التّغيّر الدّلاليّ في كتاب (الفائق في غريب الحديث)

الدكتور خليل إبراهيم القعيسي
المملكة الأردنيّة الهاشميّة - وزارة التّربية والتّعليم

يُعدّ التّغيّر الدّلاليّ من أبرز المسائل اللغويّة الّتي تشغل البحث اللغويّ، لما استحوذ على اهتمامات الباحثين في خبايا اللغة العربيّة، وذلك لاعتبار البحث الدّلاليّ جزءاً لا يتجزّأ من مستويات اللغة ومكمّلاً لتلك المستويات النّحويّة والصّرفيّة والصّوتيّة والمعجميّة، الّتي لا يستقيم فيها الدرس اللغويّ دونها.

إنّ اللغة العربيّة كما هو معروف، لغة مرنة طيّعة، تميل إلى الحداثة مع إبقائها على تراثها الّذي كساها حلّة ندر وجودها في غيرها من اللغات، كما أنّها تميل إلى التغيّر دون أن يكون الزّمان والمكان عائقين في طريق تغيّرها، ولعلّ طبيعة اللسان العربيّ المائل إلى التغيّر، هو السّبب لأنّ كلّ جيلٍ يحاول أن يفهم عناصر وشبكات المعاني، ويتخيّر للسانه أنقى ما وصل إليه، أو يستحدث جملة من المعاني والعلاقات الدّلاليّة الّتي تناسب بيئته وخطابه اللغويّ.

ولأهمّيّة التّغيّر الدّلاليّ، سيسعى الباحث إلى تأمّل هذه الظّاهرة وتدبّر تأثيراتها في اللفظة العربيّة المتداولة في الخطاب اللغويّ، حيثّ إنّ البحث سيتناول التّغيّر الدّلاليّ في كتاب من أمّهات التّراث اللغويّ، ألا وهو الفائق في غريب الحديث للزّمخشريّ، إذ إنّ الفائق قد حوى في طيّاته ألفاظًا وردت في حديث النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – هذه الألفاظ قد تعرّضت إلى تغيّرٍ في دلالاتها ومعانيها بحكم الفارق الزّمني للجيل اللغويّ في تلك الفترة، وكيف توصّل الزّمخشريّ لتغيّر دلالاتها، وما طرأ عليها من تغيّرٍ دلاليٍّ في الوقت الحاضر.

فالبحث يسلّط الضّوء على ثراءٍ لغويٍّ في مرحلة من مراحل تفوّق اللغة وارتقائها، ثمّ التّعرّف على مدى تأثّر اللغة في تلك المرحلة باللغات الأجنبيّة وما لذلك من تأثير دلاليٍّ مُبين في اللغة العربيّة لتلك الفترة، ومدى تأثير العوامل الدّاخليّة والخارجيّة وضغطها لإحداث مثل هذه التّغيّرات الدّلاليّة تماشيًا مع جيلٍ جديدٍ وزمكانٍ جديدٍ، وسياق لغويٍّ قد أصبح غنيًّا بالدّلالات الجديدة. وسيدرس البحث العوامل مؤثّرة في تغيّر كلّ لفظة أشار إليها الزّمخشريّ في فائقه، وكيفيّة انتقال اللفظة بحسب ورودها في سياقات متعدّدة من مراحل الحديث النّبويّ.

إنّ المنهج الّذي تمثّل به البحث، هو المنهج الوصفي التّحليليّ، فالبحث يصف اللفظة في مقرّها المعجميّ، ثمّ يحلّل الظّواهر المحيطة باللفظة في سياقها في الحديث ومدى ارتباط دلالتها بالدّلالات الأخرى في سياقات

مختلفة خارج الحديث النّبويّ قبل زمانه وفي أثنائه وفي زماننا هذا، كما يحلّل طريقة انتقال المعنى في اللفظة الواحدة متأثّرة بعامل من عوامل التّغيّر الدّلاليّ. وقد قسم الباحث بحثه قسمين: أحدهما في الجانب النّظريّ وهو العوامل المسبّبة للتغيّر الدّلاليّ، وقسمٌ تطبيقيّ يتعلّق بوصف وتحليل التّغيّر الدّلاليّ لألفاظ الحديث في كتاب الفائق.

الدّراسات السّابقة

لم تتعرّض الدّراسات قديمها وحديثها إلى قضيّة التّغيّر الدّلاليّ في كتاب الفائق، بيدَ أنّ دراسة حديثة بيّنت بلاغته دراسة مجيدة، وظهرت هذه الدّراسة جليًّا في كتاب (البلاغة البيان والمعاني في كتاب الفائق في غريب الحديث للزمخشري المتوفى ٥٣٨ هجرية)، للدكتور عطية الغول، وقد بينّ الغول أنّ الزّمخشريّ أزاح السّتار عن كلّ معمًّى، وقد جاء الكتاب في قسمين أحدهما في موضوعات علم البيان كالتشبيه وأنواعه وأغراضه، والمجاز وأنواعه وبلاغته، والاستعارة ووجوهها، والكناية وأركانها وأقسامها، والكناية باعتبار الوسائط، والإشارة وألوانها.

أمّا الآخر فقد بحث في موضوعات علم المعاني كأجزاء الجملة والتعريف والتنكير والإطناب وأنواع الخبر وأساليب الإنشاء، وأسباب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وحذف الجمل أو أجزاء من الجملة، ووضع المظهر موضع المضمر والبِنية النّحويّة للبلاغة في أساليب القسم والنّفي والوصف والتّعجّب.

هذا ما وجدته من دراسات سابقة لكتاب الفائق في غريب الحديث للزمخشريّ، التّغيّر الدّلاليّ في كتب غريب الحديث تفتقر إلى بحث الباحثين وشغل الشّاغلين فيها، من هنا بدأت بالتّركيز على كتاب الفائق لما احتواه من صنوف اللغة العربيّة الثّريّة والغنيّة بعلومها.

وقد يكون هذا البحث شرارة يوقد منها الباحثون شعلاتهم للعمل في علم الدّلالة في كتب غريب الحديث، لتضيف هذه الدّراسات الجديد في علم الدّلالة وما تحتويه تلك الكتب كتب غريب الحديث من علوم لغويّة ثرّة.

الجانب النّظريّ في التّغيّر الدّلالي

التغيّر الدّلاليّ وعوامله:

في أثناء دراسة التغيّر الدّلالي، نجدُ أنّه يمرّ بعواملَ عدّةٍ، أثّرتْ في الألفاظ، ومن هذه العوامل:

العامل الاجتماعيّ:

المواقف الاجتماعيّة الّتي يمرّ بها الإنسان كثيرة، كالخجل والحياء، مثل هذه المواقف تحتّم على الإنسان أن يغيّر دلالاته نتيجة هذا الموقف أو ذاك، فاستخدام تلك اللفظة الّتي تخدش الحياء ويخجل منها المتكلّم والمتلقّي، فتخرج اللفظة من كينونتها الحسّيّة لتدلّ دلالة مجرّدة تحيل باللفظة إلى دلالة جديدة، فاستبدل بكلمة مرحاض (W. C)، وبكلمة معوّقين ذوي الاحتياجات الخاصّة.

حيث يتمّ الانتقال من الدّلالة الحِسّيّة إلى الدّلالة التجريديّة؛ نتيجة لرُقيّ العقل الإنسانيّ، ويكون ذلك تدريجيًّا، ثمّ قد تندثر الدّلالة الحِسّيّة فاسحةً المجال للدّلالة التجريديّة، وقد تظلُّ مستعملةً جنبًا إلى جنبٍ مع الدّلالة التجريديّة لفترةٍ من الزمن(١).

ذلك أنّ اللغة العربيّة امتاز شِعرها ونثرها بالانزياح أو إزاحة المعنى من دلالته الحسّيّة إلى دلالته المجرّدة، وهو قانونٌ تمثّل لها ولم تجد عنه مندوحة في علم اللسانيّات الحديثة. وهي كغيرها من اللغات العالمية الّتي انطوت معاني مفرداتها تحت لواء الانزياح الدّلالي الّذي يعدّ خروجًا على المألوف وخرقًا للطّبيعة اللغويّة في نصوصها.

وقد يحدث أنْ تضيق الدّلالة بعد أنْ كانت مُتّسعةً أو عامةً، ويمكن تمثّل ذلك في الدّلالات التي كانت مستعملةً قبل الإسلام مثل: الصّلاة والزّكاة والحجّ وغيرها، ثمّ بعد الإسلام مالت دلالاتُ هذه الصّيغ الّلغويّة نحو التّخصيص وهذه سننٌ لُغويّةٌ تنسحب على كلّ عناصر النِّظام الّلغويّ، وقد تتّسع الدّلالة بعد أنْ كانت ضيّقةً، كما يذكر الّلغويّون ألفاظًا مثل: الدّلو والقصعة والسّفينة وغيرها، إذْ كانت هذه الكلمات تدلّ على أشياءَ مصنوعةٍ من مادة الخشب أو الطّين، ولكن رغم التّغيّر الّذي حصل في شكل ومادة هذه الأشياء في العصر الحديث، إلا أنّ هذه الألفاظ ما زالت دلالاتها القديمة تشملها ضمن مجالها الدّلاليّ(٢).

العامل النّفسيّ:

إنّ الشّعور بالخوف أو الاشمئزاز من الاضطرابات النّفسيّة الّتي تعتري الإنسان، وهذا الشّعور يخرج الإنسان إلى حيّز الذّائقة اللفظيّة، إذ إنّ الإنسان يلجأ أحيانًا إلى تجنّب استخدام لفظة تشمئزّ منها النّفس ولا يستسيغ المقام مقالها، فيتغيّر اللفظ بدلالته المكروهة إلى لفظة أخرى مقبولة في الوسط الاجتماعيّ.

ويختصّ العامل النّفسيّ بما يُعرف بالّلامساس وهي كلمة تُطلَق علي كلِّ ما هو مقدّسٌ أو ملعونٌ، أو المحظور الّلغويّ، أو الكلام الحرام، ويخضع ذلك لثقافة المجتمع ونمط تفكيره وحسّه التّربويّ، فيلجأ المجتمعُ اللغويّ إلى

(١) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص: 161 - 162.
(٢) عبد الجليل، منقور، ص: 70 - 71.

تغيير ذلك اللّفظ ذي الدّلالة المكروهة والممزوجة بلفظٍ آخر ذي دلالةٍ يستحسنها الذّوق، فكان اللامساس يؤدّي إلى تحايلٍ في التّعبير أو ما يُسمّى بالتّلطّف، وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحادّة بالكلمة الأقل حِدّةً، هذا النّزوع نحو التماس التلطّف في استعمال الدّلالات اللّغويّة، هو السّبب في تغيّر المعنى(١).

العاملُ اللّغويّ:

قدْ يحدث في صُلب اللّغة فجواتٌ معجميّة لا تجد معها اللّفظ الّذي يُعبّر عن الدّلالة الجديدة، فيلجأ اللّغويّون إلى سدّها عن طريق الاقتراض اللغويّ الّذي يشمل استعارة ألفاظ قد تكون فارسيّة أو عثمانيّة أو اللّجوء إلى التّرجمة من اللّغات الأوربيّة كالإنجليزيّة أو الفرنسيّة، وهو ما يسمّى بالتّعريب أو سدّها عن طريق الاشتقاق، وقد يتّجه المجتمع اللّغويّ نحو المجاز فيتمّ ابتداع دلالةٍ جديدة أو يحصل نقلٌ لدلالةٍ من حقلٍ دلاليٍّ إلى آخر، وأمثلة ذلك كثيرةٌ في اللّغة العربيّة كقولنا: أسنان المشط، فدلالة الأسنان، تمّ نقلها من مجالٍ دلاليٍّ يخصُّ الكائن الحيّ بوجهٍ عام إلى مجالٍ آخر يبدو بعيداً ويخصُّ المشط، ومثل ذلك قولنا: أرجل الكرسيّ، وظهر السّيف، وكبد السّماء، وغيرها من التّراكيب اللّغويّة(٢).

فالكلمة قد تقترض معنىً جديداً بحسب حاجة السّياق اللّغويّ المطروح، فتضفي بذلك دلالةً إضافيّةً يتمّ تداولها بشكلٍ مطّردٍ مع مجموع المتخاطبين وفي كلّ خطابٍ.

من جهةٍ أخرى، فالانتقال من المعنى الحقيقيّ إلى المعنى المجازيّ يؤدّي إلى تغيّر في معاني المفردات، حتّى يؤول أخيراً إلى انقراض المعنى الحقيقيّ وحلول المعنى المجازيّ محلّه. وليس من الضروريّ أنْ يكون الاستعمال المجازيّ مقصوداً معتمَداً كما نلحظه في بعض الأساليب الشّعريّة والكتابيّة، بل قد يقع من عدّة أفرادٍ في البيئة اللّغويّة في وقتٍ واحدٍ دونَ مواضعه أو اتّفاقٍ بينهم(٣).

إنّ بعض الكلمات مثل كلمات: الوَغى، والغَفَر، والعَقيقة. فقد انتقل معنى: الوغى من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها. وانتقل معنى الغَفَر من السِّتر إلى الصّفح عن الذّنوب. ومعنى العقيقة منَ الشَّعْر الذي يخرج على المولود من بطن أمّه، إلى ما يُذبَحُ عندَ حَلْقِ ذلك الشَّعْر(٤).

---

(١) عمر، أحمد مختار، علم الدّلالة، ص 240.
(٢) عبد الجليل، ص 71.
(٣) أنيس، ص 193.
(٤) وافي، علي عبد الواحد، علم اللّغة، ص 321.

ومثل هذه الألفاظ قد تجاوزت المعنى المعجميّ، إذ إنّ المفردة في المعجم لها معنًى مستقلّ بخلاف معناها ودلالتها في السّياق، وربمّا كان هذا من باب عموم اللفظة لغويًّا، وتصاعد النّبرة الدّلاليّة من المعنى المعجميّ إلى المعنى الشّامل لتلك اللفظة.

مظاهر التغيّر الدّلاليّ:

تعدّدتْ مظاهر التغيّر الدّلاليّ، ويمكن حصرُها في ما يأتي:

تخصيص الدّلالة: أو تضييق المعنى، أي تحويل الدّلالة من المعنى الكُلّيّ إلى المعنى الجزئيّ أو تضييق مجال استعمالها في السّياق اللغويّ، حتى لا يستقيم مع دلالتها معنًى آخر، باقتصار العموم على الخصوص، أو تضييق العامّ إلى حدّ استئثاره بفئةٍ خاصّة، كاقتصار لفظة الشّاشة على الرّائي أو التّلفاز، أمّا تعميمُ الدّلالة أو توسيع المعنى، فيعني اتّساع ما تدلّ عليه الكلمة، بحيث يطلق اللفظ أو الكلمة الواحدة على أكثر من معنى، ليُصبح مجال استعمالها أوسعُ من ذي قبل، ككلمة البأس الّتي كانت محصورة بالحرب، فاتّسع مدلول هذه الكلمة ليصبح كلّ شيءٍ عظيم أو شديد هو بأس. فهذا المظهر الدّلاليّ يُحجّم المعنى المطلق للفظة الواحدة أو يطيل من مساحة الدلالة للفظة لتشمل معاني أخرى تخدم السّياق المقرون بالزّمان والموقف الّذي يقتضي تغيّر الدّلالة للفظة.

رُقيّ الدّلالة وانحطاطها: إنّ هذا المظهر يُدرجه علماء الدّلالة تحت مصطلح نقل المعنى، إذْ قد تتردّد الكلمة بين الرّقيّ والانحطاط في سلّم الاستعمال الاجتماعيّ، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القِمّة، وتهبط إلى الحضيض في وقتٍ قصير، فكانت دلالة اليَدِ كنايةً عن السّخاء والكرم، وهي قيمة عُليا، لكنّها أضحتْ وصفًا للسّارق؛ إذْ يُقال له: هو طويل اليد.

ولعنصر الزّمان دورٌ جليٌّ في هذا التّغيّر وما آلت إليه هذه الألفاظ من انهيار مدلولها أو ارتقاء معناها، لتفقد لمعانها في ذهن المتلقّي ويقتصر استخدامها على دلالات لا قيمة لها في المجتمع، فترى لفظة زنجيل الّتي شرُف معناها وارتقى وأصبح لها وزن اجتماعيّ لتطلق عل كلّ ذي مالٍ، بعد أن كان معناها الضّعيف. فانتقلت دلالتها من المعنى الأضعف إلى المعنى الأقوى.

تغيير مجال الاستعمال: ويكون بنقل الدّلالة من مجالها الحقيقيّ إلى مجال المجاز، مثل كلمة: رسول التي كانت تُطلَقُ على الشّخص الّذي يُرسَلُ لأداء مهمّةٍ. فحوّل مجال استعمالها الدّلاليّ، فأضحت تطلق على شخص النّبيّ، بحيث تتبادر إلى الذّهن كلّما استُعمِلَتْ ضمن الخطابِ اللّغويّ العاديّ(١).

إلا أنّ المجاز في كلمة الرّسول اتّكأ على علاقاتٍ معيّنة بين مدلولَي الكلمة من حيث العلاقة بين الجزء والكلّ، فترى أنّ لفظة الرّسول حُصر معناها بمن أرسله الله، فأطلق الكلّ على الجزء، وقد يكون العكس باطّرادٍ في استخدام المجاز المعتمد على العلاقة بين الجزء والكلّ في اللفظة الواحدة، أو حتى العلاقة السّببيّة والمجاورة، كما حدث في لفظة الدّيوان الّتي باتت تطلق على كلّ مكانٍ احتوى الوثير من الفراش، فاستوحت دلالتها من السّرير، فكانت سببًا في توضيح العلاقة وإطلاق الدّلالة الجديدة مجازًا.

فانتقال دلالة اللفظة في هذا المظهر يأخذ أشكالاً متعدّدة عبر العلائق والوشائج اللغويّة، وقد تستخدم اللفظة المجاز والاستعارة مجالاً لها ليبين عنها مدلول جديد، أو الانطلاق إلى دلالات ومعانٍ جديدة ليس بينها وبين المعاني القديمة بوْنٌ شاسع، إنّما كان استخدامها المجاز والاستعارة؛ لتفوّقهما في التّحايل على الموقف اللغويّ دون غيرهما من فنون البلاغة، وسرعة تصرّفهما في اتّخاذ أشكالٍ دلاليّة قويّة التّأثير في نفس المتكلّم والمتلّقي في آنٍ واحد. فانتقال الدّلالة عبر المجاز يكون بانتقاله من الحسّ إلى المجرّد أو العكس، وقد يكون الانتقال بين المحسوسات ذاتها، فكلمة غبار انتقلت في دلالتها عبر المجاز عند قولنا: هذا كلامٌ لا غبار عليه، إذ انتقلت دلالة الغبار في الذّهن من دقيق التّراب أو الرّماد إلى العيب، فالمجاز في هذا المحلّ من الخطاب أو السّياق اللغويّ قد أدّى وظيفة التّغيّر الدّلاليّ وتغيير مجال الاستعمال بصورة فعّالة من المحسوس إلى المجرّد.

كذلك تغيير مجال الاستعمال وانتقال الدّلالة بالاستعارة، لا يقلّ قوّة وتأثيراً عن المجاز في تقريب الصّورة المعنويّة لجسد اللفظة ومدى تشكّل معناها بسرعة ودقّة لا توصف، فتتشابه المعاني عبر الاستعارة في جملة: يستنسر البُغاث، فالدّوران والتّحليق استعداداً للصّيد يكونان للقويّ في السّماء، وعندما يقوى الضّعيف لسببٍ ما، سيحلّق ويدور متأهّبًا للصّيد بعد أن كان فريسة، هذه الاستعارة قرّبت المعنى بين صورتي النّسر والبغاث الضّعيف من جهة، والشعب والمحتلّ من جهة أخرى.

لا جرم أنّ هذا الانزياح في المجاز والاستعارة قد أسهم في إحداث تغييرٍ في مدلول اللفظة وتغيير وقْع المعنى في نفس المتلقّي، لما لهما من تأثير واضح في تحديد صبغة المعنى الجديد في الخطاب اللغويّ، وتقريب صورة اللفظ

(١) عمر، ص 243 - 245 - 248.

مقرونًا بدلالته، وهذه العلاقات الدّلاليّة المتنقّلة بين عناصر المعنى المتعدّد للفظة، لا تتأتّى لنا إلا بقوّة الأسلوب البلاغيّ المستخدم لفهم العلاقات المتبادلة بين المحسوسات والمجرّدات كالمجاز والاستعارة.

كتابُ الفائقِ:

رتّب الزّمخشريّ كتاب الفائق حسب حروف المعجم، كما تحدّث فيه عن اللغة العربية وبلاغة العرب وقدرتهم على التّصرّف فيها بالكناية والتّعريض والاستعارة والتّمثيل وأصناف البديع وضروب المجاز والافتنان في الإشباع والإيجاز، مستدركًا النّقص في كتب غريب الحديث؛ للوصول إلى درجة الكمال في البحث والدراسة. فالمعلوم أنّ الزّمخشريّ عالمٌ باللغة والنّحو والبلاغة، فجعل حين يفسّر كلمة أو يوضح عبارة، يعرض آراءه في النّحو والبلاغة ويستشهد بكلام العرب وأمثالهم وأشعارهم.

لقد قسّم الزمخشري كتاب الفائق إلى كتب، وجعل كلَّ كتابٍ خاصًّا بحرفٍ من حروف العربيّة، يضع فيه الألفاظ التي أوّلها ذلك الحرف. ثمّ رتّب هذه الألفاظَ في فصولٍ وفقًا للحرف الثاني. لكنّه أهمل الحرف الثّالث وما بعده، فلم يُراعِ ترتيبه. ونهج على أنْ يذكر في المادة الحديث الذي يحتوي عليها، ثمّ يشرح المادة، ويستشهد عليها بأحاديثَ أخرى، وبقرآن وشعرٍ في بعض الأحيان، ثمّ يشرح كلَّ ما في الحديث من غريب، ويُطيلُ فيه، سواءٌ تعلّق بالمادة أو لم يتعلّق. واستمرّ على هذه الطريقة في كتابه كلّه، فصار مجلّدين كبيرين، يحفلان بألفاظ الحديث.

والفائقُ أغزرُ كتب الحديث مادةً لُغويّةً، حتى عصره، ولذلك أُعجب به الباحثون، قال عنه ابن الأثير: "وسمّاه: (الفائق)، ولقد صادف هذا الاسم مُسمّى، وكشف من غريب الحديث كلّ مُعمّى". ولكن تناوله كلّ ما في الحديث من غريبٍ في موضوعٍ واحد استطراداً، كلّف الباحثين مؤونةً ومشقّةً.

وإذًا، يشقّ على الباحث عن الحديث أنْ يستخرجَ الحديث من الفائق؛ لكثرة توسّع الزّمخشريّ في المادة اللّغويّة وشرح الحديث وتناول مفردات الغريب بتفصيلٍ دقيقٍ واسعٍ، مستشهداً عليه شِعْرًا وقرآنًا.

وقد ذكر حسين نصّار أنّ مقدّمة الفائق كانت قصيرةً، أراد منها الزمخشريّ توضيحَ بلاغة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والاستفراد بهذا المصنّف الغريب مستعينًا بما كتب فيه مَنْ كان قبله. وكتابه يقترب بعض الشيء من معجمه المُسمّى: "أساس البلاغة"، ولكنه لا يُدانيه، إذْ يُبينّ فيه أوجه البلاغة، ولا يعرض للمجاز وما إليه، ممّا بنى عليه الأساس. ولعلّ سبب ذلك، أنّه ألّف الأساسَ بعد الفائق(١).

(١) نصّار، حسين، المعجم العربي نشأته وتغيّره، ص 49 - 50.

الجانب التّطبيقيّ للتّغيّرُ الدّلاليّ في "كتاب الفائق في غريب الحديث للزّمخشريّ" :

توطئة : تنبّه الزّمخشريّ إلى ما حدث من تغيّر دلاليّ في حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لإدراكه أبعاد اللغة وصنوفها، وبلوغه شأواً بعيداً في مكنوناتها العزيزة، حيث إنّه يعدّ – بلا منازع – عَلماً في علوم اللغة ويُشار إليه بالبَنان.

لا غرو أنّ الزّمخشريّ قد استطاع ببصيرته النّافذة أن يعلّق وينثر ملحوظاته عند وصوله إلى لفظة غريبة في الحديث النّبويّ الّذي يشرحه، ويبين عن شرحه ما يدلّ دلالة واضحة أنّ هذه اللفظة قد تغيّرت دلالتها عمّا كانت عليه في زمن حيث النّبيّ وقبله كذلك.

في هذا القسم، يتناول الباحث الجانب التّطبيقيّ لظاهرة التّغيّر الدّلاليّ في كتاب الفائق، وتحليل اللفظة إلى دلالاتها السّابقة واللاحقة في الكتاب، ثمّ يورد دلالة اللفظة في العصر الحديث بحسب متطلّبات استخدام اللفظ في سياقها اللغويّ الحالي، إذ إنّ اللفظة بنت السّياق، مستعيناً بالمعاجم اللغويّة المشهورة.

لعلّ الزّمخشريّ قد بانت قريحته في إظهار البُعد الدّلاليّ للفظة الّتي يدرسها في غريب الحديث، فكثرة الاستعمال في مظنون الزّمخشريّ يعبّر عن سببٍ من أسباب شيوع هذه اللفظة أو تلك، ناهيك عن إعطاء اللفظة عدة دلالات تغيّرت بتغيّر الزمان والإنسان، متّكأ في تحليله على المعجم والمعنى الّذي تحوّلت وتحوّرت عنه اللفظة الغريبة في حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

إنّ تعميم الدّلالة في الألفاظ التي تغيّرت في فائق الزّمخشريّ، أكثر مظاهر التّغيّر الدّلاليّ، وسيظهر هذا جليًّا في تحليل الباحث بعد قليل، ويشهد له في ذلك، التّغيّر الّذي حدث بين المحسوسات بالتّعميم نتيجة ارتقاء الاستخدام اللغويّ في ذهن المجتمع في تلك الفترة.

أرِبَ :

في حديث عمرَ رضي الله عنه : إنَّ الحارثَ بنَ أوسٍ سألَه عن المرأةِ تطوفُ بالبيتِ تنفِرُ من غير أنْ أَزِف طواف الصَّدَر إذا كانت حائضًا. فأتاه أنْ يفعلَ ذلك، فقال الحارثُ : كذلك أفتاني رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم. فقال عمرُ : أَرِبْتَ عَنْ ذي يَدَيْكَ. ورُوِي : أَرِبْتَ من ذي يديك؛ وقد سمعتَه مِنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – كي أخالفه؟ ومعناه مُنِعت عمّا يصحب يديك وهو مالُه[١].

---

(١) الفائق في غريب الحديث، الزّمخشري، 1/34/ (أَرِبَ).

ومعنى أَرِبْتَ من يديك: نشأَ بُخْلك من يديك، والأصلُ فيما جاء في كلامهم من هذه الأدعية التي هي: قاتلك الله، وأخزاك الله، ولا دَرَّ درّك، وتَرِبت يداك وأشباهها. وهم يريدون المدحَ المفرطَ والتعجّبَ؛ للإشعار أنّ فعلَ الرّجلِ أو قوله بالغٌ من النّدرة والغرابة المبلغَ الذي لسامعه أنْ يحسده وينافسه حتى يدعوَ عليه تضجّرًا أو تحسّرًا، ثمّ كثُر ذلك حتى استُعْمل في كلّ موضع استعجاب. يُقال أَرِبَتَ من يديكَ، أي: سقطتْ آرابُكَ من اليدين خاصَّةً[1].

وأرَبَ إليه يَأْربُ أَرَبًا: احتاج. وفي حديث عمر – رضي الله عنه –، أنّه نَقِم على رجلٍ قولاً قاله، فقال له: أَرِبْتَ عَنْ ذي يَدَيْكَ. معناه: ذهب ما في يديك حتى تحتاج. وقال أبو عبيدة في قوله: "أَرِبْتَ عَنْ ذي يَدَيْكَ": أي: سقطتْ آرابُكَ من اليدين خاصَّةً. وقيل: سقطتْ من يديكَ. وجاءت اللفظة بمعنى احتاج إلى الشيء وطلبه في قول ابنُ مُقبل[2]:

وَإِنَّ فينا صَبوحًا، إِنْ أَرِبْتَ بِهِ جَمْعًا بَهِيًّا، وَآلافًا ثَمَانينا[3].

في حديث عمرو بن العاص قال: أَرِبْتُ بأبي هُرَيْرَةَ، أي: احتلْتُ عليه، وهو مِنَ الإِرْبِ، الدَّهاءُ والنّكرُ، والإِرْبُ: العَقْلُ والدّينُ، عن ثعلب. والأريبُ: العاقل. ورجلٌ أريبٌ من قومٍ أَرْباء. وأرِبَ بالشيء: ضَنَّ به وشحَّ. والتَّأْريبُ: الشُّحُّ والحِرْص.

عند تحليل ما حدث في الكلمة من تغيّر دلاليّ نجد أنّ كلمة أرب، انتقل معناها من الجزء إلى الكلّ مستخدمة المجاز في التّعبير، فاللفظة في حدودها المجازيّة الجزئيّة، كانت تطلق على الدّهاء والعقل والدّين والحاجة والبُخْلُ، ثمّ في فترة ما من الاستخدام اللغوي لهذه اللفظة في سياقها ذلك، حتّى أصبحت العناصر الدّلاليّة فيها مؤهّلة للانتقال إلى الدّعاء عند البخل، ولم تتوقّف العناصر الدّلاليّة للفظة نفسها في الخطاب اللغويّ عند هذا الحدّ من الدّلالة، إنّما تجاوزت في دلالتها الدّعاء عند البخل إلى الدّعاء عمومًا في كلّ موضع تعجّبٍ، وهنا تجلّى الانتقال من الجزء إلى الكلّ بقوّة في القول: تربَتْ يداكَ.

---

(١) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، مادة أرب.

(٢) تميم بن أبيّ بن مقبل 37هـ، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب: شاعر جاهليّ، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهليّة. عاش نيّفًا ومئة سنة. وعُدّ في المخضرمين. وكان يهاجي النّجاشيّ الشّاعر. له ديوان شِعْر. الأعلام 2/87.

(٣) مطلع القصيدة:

طَافَ الخَيَالُ بِنَا رَكْبًا يَمانينَا ودُونَ لَيْلَى عَوَادٍ لوْ تُعَدِّينَا.

الصّبوح: الغداء، وهو في الأصل شرب الغداة، واستعمل في الأكل، وهو كناية عن الحرب هاهنا والتّهديد به، والجمع البَهيّ: ذو البهاء الّذي يملأ العين ببهائه وكثرته، يريد جمع قومه. أَرِبْتَ بِهِ، أَي احْتَجْتَ إِلَيْهِ وأَرَدْتَه. انظر: الغريبين في القرآن والحديث 1/63. ولسان العرب/ مادة: (أرب).

الأَسَفُ:

وفي الحديث: النّبيُّ – صلّى اللّهُ عليه وسلّم – سُئل عن مَوتِ الفجَاءة. رَاحَةٌ للمُؤْمِن وأَخْذَةُ أَسَفٍ للكافر(١). أي أخذةُ سُخْط، من قوله تعالى: (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمنَا مِنهُم فَأَغرَقناهُم أَجمَعِينَ)(٢). وذلك لأنَّ الغضبان لا يخلو من حُزن ولهف، فقيل له: أَسِفٌ. ثمّ كثُرَ حتّى استُعمِلَ في موضعٍ لا مجالَ للحزن فيه. وقد ورد معناها في الصّحاح أنّ "الأسفُ: أشدُّ الحزن. وقد أَسِفَ على ما فاته وتأَسّف أي: تلهّف. وأَسِفَ عليه أَسَفًا: أي: غَضِب. وآسَفَهُ أغضَبَه. والأسِيفُ والأَسُوفُ: السريعُ الحزن الرّقيقُ. وقد يكون الأسيفُ الغضبانَ مع الحزن.

فلفظة الأسف كما تبين لنا معناها من استخدامها المعجميّ، تساوت في تغيّرها الدّلاليّ بين السّخط وسرعة الحزن وبين الاعتذار في الوقت الحاضر، وكان انتقالها عبر المجاز انتقالاً متكافئًا، أي أنّ مجموع العلاقات الدّلاليّة وأشكالها في لفظة الأسف قد تأثّر بقوّة تصرّف المجاز حتّى وصل لهيئة الاعتذار، لا سيّما أنّ لمسة الحزن ما فارقت مراحل الانتقال المتكافئ عبر الزّمن، وبناءً على ذلك، فإنّ التغيّر الدّلاليّ الّذي طرأ على لفظة الأسف، كان تغيّرًا متكافئًا في معانيها متدرّجة من السّخط حتّى الاعتذار.

فصارتْ اللفظة في الوقت الحاضر، تدلّ على مَن يعتذر لخطأٍ بَدَرَ منه أو اعتذر من إنسان عن موعدٍ ما، أو تعبيرٌ عن الرّفض، كأنّ يقولَ أحدُهم للآخر: أعطني قلمَك، فيردُّ قائلاً: آسِف، وهو تعبير عن رفضه إعطاءه القلم، وما كان هذا الانتقال في الدّلالة إلا عن قوّة المجاز الّذي تمّ استخدامه في إيصال التّعبير الجديد أو الدّلالة الجديدة للفظة.

وممّا لا شكّ فيه، أنّ الأثر النّفسيّ قد تراجع في دلالة الأسف في هذا الوقت، ذلك أنّ الأسف قديمًا قد تجلّى فيه شعور الإنسان بالغضب والسّخط والحزن، وهذا يعدّ تأثّرًا سلبيًّا تمّ إسقاطه على هذه اللفظة، ثم ما لبث أن تخلّت لفظة الأسف الآن عن الأثر النّفسيّ السّلبيّ، لتتّخذ لنفسها موقعًا دلاليًّا جديدًا في النّفس، فلا أثر للحزن في عناصر الدّلالة المكوّنة لهذه اللفظة، إنّما الرّفض صادرٌ عن قوّة الرّأي والقرار، فصارت دلالة الأسف على الاعتذار بعد أن كانت تدلّ على السّخط والحزن.

(١) مسند الإمام أحمد، 29/445، رقم الحديث: (17923).
(٢) سورة الزّخرف، 55.

أظلَّ:

وفي تفريقه بينْ أَظَلَّ وأَظَلَّ يقول الزمخشري: "وأمّا أَظَلَّه فمعناه أَلْقَى عليه ظِلَّه، يقال: أَظَلَّتهم السَّحَابَةُ والشَّجَرة. ثم اتُّسِع فيه فقيل: أَظَلَّه أَمْرٌ، وأَظَلَّنا شهرُ كَذَا"(١).

استخدم الزمخشريّ مصطلح: اتُّسِع فيه، في سياق تفسيره لكلمة أظلّ، فاسحًا المجال لدور الاستعارة في أداء دورها الإيحائيّ للتعبير عن مدلول كلمة أظلّ، كذلك أدّى الانتقال هنا في شبكات المعاني المتعالقة في هذه اللفظة إثر استخدامها في سياقات اقتضت الحاجة فيها إلى أن يُعمل الإنسان عقله، حتّى يستطيع تكييف هذه اللفظة بحسب مقام حال المتكلّم في الوسط اللغويّ، فتوسّع هاهنا وآثر الانزياح لتؤدّي عناصر المعاني للفظة أظلّ دوراً دلاليًّا جديداً. فانتقلَ الظلُّ منَ السّحابة والشّجرة إلى ظلّ الأمر والشّهر وغيره، لتعمّ عناصر دلاليّة عديدة تترك للعقل فرصة التّأمّل في سحب هذه العناصر الدّلاليّة على كثير من المواقف اللغويّة الّتي يمرّ بها الوسط اللغويّ.

الظلّ معروفٌ، والجمع ظِلال. والظّلال أيضًا ما أظلّك من سحابٍ ونحوه. وظِلّ الليل سواده. يُقال: أتانا في ظلّ اللّيل. وأظلّ يومنا، إذا كان ذا ظلٍّ. وأظلّتني الشّجرة وغيرها وأظلّك فلانٌ، إذا دنا منك كأنّه ألقى عليك ظلّه. ثمّ قيل: أظلّك أمرٌ وأظلّك شهرُ كذا، أي دنا منك. واستظلّ بالشّجرة: استذرى بها. وظللتُ أعمل كذا بالكسر ظُلُولا، إذا عملته بالنّهار دون اللّيل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ﴾(٢).

فانتقال المعاني في لفظة أظلّ إلى ظلّ الأمر وظلّ الشهر وغيره. ابتعد من خلال الاستعارة إلى ظلُّ كلِّ شيءٍ حقيقيّ ومجازيّ. وهذه التّحوّلات في شبكات معاني اللفظة، أعان على إنتاج دلالات إيحائيّة مُثلى في التّعامل معها عند استخدامها كما حدث في عناصر دلالة جملة: ظلّ العرش، وظلّ أمّي، وظلّ حياتي إلى آخره من سيل هذه الصّور الذّهنيّة المتبلورة جرّاء هذا الانتقال الدّلاليّ.

على أنّ هذا الانتقال الدّلاليّ في لفظة أظلّ، هو في صورته المجرّدة للمشابهة بين ركنين أساسين تمرّ بهما هذه اللفظة، هما: معنى منقول ومعنى متداول، فهذه الصّورة المجرّدة للمعنيين المنقول والمتداول، تتغيّر عن طريق الدّلالة الطّبيعيّة للفظة أظلّ، إنّ القرينة الّتي صاحبت الصّورة التّجريديّة للفظة، صرفت الذّهن مباشرة عن المعنى

(١) الفائق، 1/47
(٢) سورة الواقعة، 65.

الطبيعيّ أو الأصليّ للفظة أظلّ، ممّا لا مندوحة عنه اتّخاذ المعنى الفضفاض عندما أوحته تلك اللفظة، فأنتجت دلالة جديدة تتغيّر كلّما جدّ سياق أو اعترضها طارئٌ استعاريٌّ يخرجها عن مألوفها.

باردة:

"الصَّوْمُ في الشِّتَاءِ الْغَنِيمةُ الْبارِدَةُ". والأصلُ في وقوع البَرْد عبارةٌ عن الطّيب والهناءة، أنَّ الهواء والماء لّما كان طِيبهما ببردهما خصوصًا في بلادِ تِهامة والحجاز، قيل: هواء بارد، وماء بارد، على سبيل الاستِطَابة، ثمّ كثُر حتّى قيل: عَيْشٌ بارد، وغنيمة باردة، وبرَدَ أمرنا(١).

البرْد نقيض الحرّ، والبرودة: نقيض الحرارة. وقد برُد الشّيء بالضّمّ. وبرَدته أنا فهو مَبْرودٌ. وبرّدته تبريداً. وابْتردتُ، أي: اغتسلتُ بالماء البارد، وكذلك إذا شربته لتبْرُدَ به كبدك. وهذا الشّيءُ مَبْردةٌ للبدن. قال الأصمعيّ: قلت لأعرابيٍّ: ما يحملكم على نومة الضُّحَى؟ قال: إنّها مَبْرَدةٌ في الصّيف، مَسْخنةٌ في الشّتاء. وبَرَدَ الرّجلُ عينه بالبَرُود: كحَلها به. والبَرْدُ: النّومُ(٢). ومنه قوله تعالى: (لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَردا وَلاَ شَرَابًا)(٣).

قولُ الزّمخشريّ: ثمّ كثُر، إشارة إلى كثرة الاستعمال، إنّما من باب الإيجاز استخدم هذا التّعبير، ليدع للقارئ فرصة التّأمّل في التغيّر الدّلاليّ في ما تستنبطه قريحة الزّمخشريّ.

في كلمة الباردة الآنفة الذّكر، حدث تغيّر دلاليّ وكان المظهر فيه واضحًا، وهو انتقال المعنى في حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فانتقلت دلالة لفظة الباردة من الطّيب إلى دلالات أخرى متّخذة الاستعارة سبيلاً لها في التّغيّر والتّحوّل من تركيبٍ إلى آخر قريبًا من المعنى الأصليّ للفظة، فالمشابهة بين المعاني لهذه اللفظة، كانت السّمة الغالبة داخل عناصر المعنى، فمرّت اللفظة منذ المعنى الأصليّ الّذي هو ضدّ الحرّ، وصولاً إلى استعارة البرودة للعيش والأمر.

لعلّ انطلاق الزّمخشريّ من القرآن الكريم في قوله تعالى: (لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَردا)، دلالة واضحة على أنّ اللفظة بصورتها المجرّدة، تصوّر في الذّهن ذلك المعنى المعجميّ القريب وهو ضدّ الحرّ، ثمّ انتقل المعنى بمجاورة ألفاظ أنتجت دلالات جديدة من خلال التّركيب اللغويّ، هذه الدّلالات تشابهت في المعنى الأخير لها.

أمّا في الوقت الحاضر، فقد تجلّت دلالات جديدة لغَور الزّمن بيننا وبين زمن حديث النّبيّ من جهة، وبين زمن الزّمخشريّ من جهة أخرى. ذلك أنّ لفظة البارد في وقتنا هذا، اتّخذت لها عناصر دلاليّة غيّرت الصّورة الحسّيّة

(١) الفائق، 1/91
(٢) الصّحاح، مادة برد.
(٣) سورة النّبأ، 24.

الّتي كانت عليها في الأصل، فمن نتائج تغيّرها الدّلالي في هذا الوقت ما يرمز إلى الجنس بصورة أو بأخرى، كقولهم: إنّك بارد، بالإضافة إلى معنى عدم الاكتراث في قولهم عند التّعجّب من لامبالاة أحدهم: ما أبردَ أعصابَكَ! دون أنْ تتخلّى اللفظة عن دلالتها القديمة الّتي هي ضدّ الحرّ.

إذًا، فلفظة بارد في التّحليل قد مرّت بمرحلتين: مرحلة الانتقال ومرحلة الانحطاط، في كتاب الفائق مثّلت اللفظة دلالة الانتقال عبر الاستعارة، وفي زماننا هذا اتّخذت اللفظة مظهرين دلاليين، الانتقال والانحطاط بحسب السّياق والخطاب اللغويّ. وفي الانحطاط اللغويّ لهذه اللفظة، ظلّت لفظة بارد محصورة في إيحائها الجنسيّ ولم تتجاوز ذلك ولم يطغ هذا المدلول الجديد على شبكات الدلالات المشهورة للفظة.

البخاع:

أتاكم أهلُ اليمنِ هم أَرَقُّ قُلوبًا وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً وأَبْخَعُ طَاعَةً. أي أبلغ طاعة. من بَخَع الذّبيحة: إذا بالغ في ذَبْحِها؛ وهو أنْ يَقْطَعَ عَظْمَ رَقبتها ويبلغ بالذّبح البِخَاع، والبِخَاع بالباء: العِرْق الذي في الصُّلْب.

يقول الزّمخشريّ: هذا أصله، ثمّ كثُر حتى استُعْمِل في كلِّ مبالغةٍ، فقيل: بخعتُ له نُصْحي وجَهْدي وطاعتي. والفعل ههنا مجعولٌ لِلطَّاعة، كأنّها هي الّتي بخعت؛ أي: بالغتْ. وفي مادة بخع في الصِّحاح: يُقالُ: بَخَعَ نفسَهُ بَخْعًا، أي: قتَلَهَا غَمًّا. ومنه قوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفسَكَ)[1]. قال ذو الرّمّة:

أَلا أَيُّهَا الباخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ بِشيءٍ نَحَتْهُ عن يَدَيْهِ المَقَادِرُ[2].

يبيّن لنا الزّمخشريّ التّغيّر الدّلاليّ الّذي طرأ على لفظة البخاع، حيث إنّ اللفظة انتقلت في دلالتها من المحسوس إلى المجرّد، فكانت في الأصل المعجميّ، العِرق الّذي يطلبه الذّابح عند الذّبح، وعند استخدامها في التّركيب اللغويّ دلّت على المبالغة في الذّبح بقطع عظم الرّقبة نفسها، ثمّ كثر استعمال هذه اللفظة في عدّة تراكيب من باب المبالغة كالبخع في النّصح والبخع في الطّاعة.

وقد استشهد الزّمخشريّ بقوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفسَكَ)، تأييدًا لما ذهب إليه من توسيع الدّلالة في لفظة البخاع، وهو قتل النّفس غمًّا وهمًّا على شيءٍ ما، وهي الدّلالة نفسها في بيت ذي الرّمّة، إذ إنّ الشّاعر يخاطب

---

(١) سورة الكهف، 6.

(٢) البيت من بحر الطّويل، من قصيدة طويلة لذي الرّمّة، يمدح بها بلال بن أبي بردة. وهو في ديوانه/ 1037، ولسان العرب 8/ 5 "بخع"، والمقاصد النّحوية 4/ 218، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب 1/ 474، ولسان العرب 15/ 312 "نحا"، والمقتضب 4/ 259. / شرح الأشموني/ 3/36. والشّاهد فيه قوله: "ألا أيّهذا الباخع"، حيث وصف المبهم "أي" باسم الإشارة "ذا"، ووصف اسم الإشارة بمعرفة هي "الباخع".

مَن كاد يقتل نفسه بسبب شدّة وجدانه، ويخبره أنّ ما حلّ به إنّما هو من الأقدار، ولا يد له على تغيير شيء، وهذا الموقع للبخع، أدّى إلى إحداث طفرة دلاليّة من خلال المجاز، فأنتجت بذلك معنىً مشابهًا وهو المبالغة.

إنّ التّحايل في المعنى لهذه اللفظة، أدّى إلى تغيّر الدّلالة مجازيًّا، وقد كان الهاجس من وراء ذلك التّغيّر، إبراز المبالغة في شدّة المشابهة في عناصر الدّلالة داخل لفظة البخاع. فالقتل أو القطع سمة اللفظة دلاليًّا، وعندما كان هذا المعنى الطبيعيّ لها، باتت تستعمل في سياقاتٍ مختلفة بقصد المبالغة في الحدث لا القتل حقيقة.

أمّا لفظة بخاع في وقتنا هذا، فمن الألفاظ المهجورة، أو أنّ سياقها جفّ من تداولها، واستُبدِلت بها أخرى كالذّبح والقتل، كأن يقول أحدهم في التّعبير عن المبالغة: لا تذبحْ نفسك على هذا، أو لا تقتل نفسك.

بريد:

ذكر الزّمخشريّ في الفائق أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – كان يكتب إلى أمرائه: إذَا أَبْرَدْتُمْ إليَّ بَريداً فاجْعَلُوه حسنَ الْوَجْهِ حَسَن الاسْمِ. أي إذا أرسلتم إليَّ رسولاً. والبريد: في الأَصْل: البَغْل، وهي كلمةٌ فارسيّةٌ أصلها: "بُرَيْدَه دُم": أي: محذوف الذَّنَب؛ لأنَّ بغالَ البريد كانت محذوفة الأذناب، فعُرِّبت الكلمة وخُفِّفَت، ثمّ سُمِّي الرّسولُ الذي يركبه: بَريداً، والمسافة التي بين السّكّتين بريداً. وفي الصّحاح البريدُ: المُرَتّب. يُقال: حُمِل فلانٌ على البريد. قيل لدابة البريد بريد لسيره في البريد، وقال غيره: البريد البغلة المرتّبة في الرّباط تعريب: "بريده دم"، ثمّ سمّي به الرّسول المحمول عليه ثم سمّيت به المسافة والبريدُ أيضًا: اثنا عشر ميلاً. وصاحبُ البريد قدْ أبْرد إلى الأمير، فهو مُبْرِدٌ، والرّسول بَريدٌ، قال امْرُؤُ القيس:

عَلَى كُلِّ مَقصوصِ الذُّنابِى مُعاودٌ بَرِيدِ السُّرى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرا(١).

عند تحليل ما طرأ على لفظة بريد من تغيّر دلاليّ نجد أنّ اللفظة من الكلمات الوافدة إلى اللغة العربيّة ثمّ عرّبت هذه اللفظة، وكأنّ الزّمخشريّ يخبرنا أنّ اللفظ الدّخيل كان له دور جليٌّ بعد تعريبه في تحديد عناصر الدّلالة وتبيين مظاهر التّغيّر الدّلاليّ في الألفاظ الّتي ذكرت في حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

فقُبَيْل تعريبها كانت تطلق على البغل المحذوف ذنبها، وبعد دخولها حيّز اللسان العربيّ، خضعت لضوابط علم الصّرف في العربيّة، واتّخذت مَنحًى دلاليًّا جديداً، وأصبحت ذات حلّة عربيّة الملامح، فغدت لفظة بريد تطلق على الشّخص الّذي يحمل رسائل الخليفة أو القائد.

(١) البيت من الطّويل/ جمهرة اللغة/ 1/295. والصّحاح/ 2/447/ مادة: (برد). ولسان العرب/ فصل الباء الموحّدة/ 3/86. والنّظم المُستعذَب/ 1/104. والذّنابي: الذّنَب، المعاود: معتاد السّير، بربر: قبيلة معروفة بالقيام على خيل البريد. ديوان: امرؤ القيس/ 96.

فلفظة بريد في بيت امرئ القيس تشير إلى الدّلالة الأصليّة في الفارسيّة، وهي البغل الّذي قطع ذنبه تمييزًا له بحمل الرّسائل، أمّا في حديث الرّسول، فقد طُبعت اللفظة بطابَع عربيّ وأنتجت دلالة جديدة، وهي الرّسول نفسه الّذي يحمل رسائل الخليفة أو القائد.

هنا نخلص بالقول إلى أنّ اللفظة الدّخيلة تتغيّر علاقات المعاني فيها ويصدر عنها دلالات أخرى، لكنّها أي العلاقات الدّلاليّة، لا تبتعد كثيرًا عن تلك الدّلالات في اللغة الأجنبيّة الّتي أخذت عنها، حتّى في ضوابطها الصّرفيّة لم تبتعد كثيرًا؛ إذ إنّها حافظت – إلى حدٍّ ليس ببعيد – على أحرفها الأصليّة.

يمكن القول: إنّ هذه اللفظة بعد تعريبها وانتقال الدّلالة فيها من معنى إلى آخر، كان للعامل الجغرافيّ أثر في تغيّر علاقات المعاني والدّلالات في لفظة بريد، ففي هذا العصر تغيّر مفهوم البريد عمّا كان عليه في حديث الرّسول بتلك الوشائج الدّلاليّة المحيطة باللفظة، فصار المبنى الّذي يتعاطى الرّسائل والبرقيّات في هذا العصر بريدًا، من هنا كان العامل الجغرافيّ ذا أثر في نفوس الأجيال المتعاقبة، وتغيير الدّلالة للفظة من الضّيّق إلى الواسع. فاتّضح تأثّر اللغة العربيّة باللغات الأخرى، وهذه سنّة اللغات في التّأثّر والتّأثير.

الحافر:

عن أُبيّ بن كعب، سألتُ النَّبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – عن التّوبة النَّصوح، فقال: هو النَّدم على الذنب حين يَفْرُطُ مِنْكَ، وتستغفر الله بندامتك عند الحافر، ثمّ لا تعود إليه أبدًا[1].

يقولُ الزّمخشريّ: كانوا لكرامة الفَرَسِ عندهم ونَفاستهم بها لا يبيعونها بالنَّسّاء فقالوا: النَّقْدُ عند الحافِر، وسيّروه مَثَلاً، أيْ: عند بيع الحافر في أوّل وَهْلَة العقد من غير تأخير، والمراد بالحافر: ذات الحافر وهي الفرس. ومَنْ قال: عند الحافرة فله وجهان: أحدهما أنّه لما جعل الحافر في معنى الدّابّة نفسها، وكثر استعماله على ذلك من غير ذِكْر الذّات فقيل: اقتنى فلان الخُفَّ والحافر؛ أي ذواتهما، ألحقت به علامة التأنيث إشعاراً بتسمية الذّات بها. والثّاني أنْ يكون فاعله من الحَفْر؛ لأنَّ الفرسَ بشدَّةِ دَوْسِها تحْفِر الأرض، كما سُمِّيت فرسًا لأنّها تَفْرِسها: أي تدقّها؛ هذا أصل الكلمة، ثم كَثُرت حتى استُعْمِلت في كلّ أوَّليّة؛ فقيل: رجع إلى حافره وحافِرته، وفعل كذا عند الحافِر والحافِرة. والمعنى تَنْجيز النَّدامة والاستغفار عند مواقعة الذّنب من غير تأخير؛ لأنَّ التأخيرَ من الإصرار.

(1)البيهقيّ، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، 7/323، رقم الحديث: (5074).

والنّسّاء تعني التّأخير، وقولهم في المَثَل: النّقدُ عند الحافرة. وقد تعني الدّفع عند كلمة العهد أو كلمة الاتّفاق. ويُقال: التقى القومُ فاقتتلوا عند الحافرة، أي عند أوّل ما التقوا. وقوله تعالى: (أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ)[١]، أي في أوّل أمرنا[٢].

في قول الزّمخشريّ: وقدْ استعاره، إشارة إلى توسيع دلالة لفظة الحافر، حيث انتقلت دلالة اللفظة من خلال الاستعارة من المدلول الحِسّيّ إلى المدلول المجرّد، ونرى أنّ الحديث النّبويّ قد اعتمد على ركن واحد من ركني الاستعارة هنا، وهو المستعار له، ولنا أن نتخيّل البديل المعنويّ المجرّد في الصّورة الاستعاريّة لغياب الرّكن الآخر وهو المستعار منه، وذلك من خلال الكلمة الملازمة للفظة الحافر أو التّركيب السّياقيّ المشتمل عليها، في حديث النّبيّ، الشّكل النّهائيّ لمعناها كان تسريع النَّدامة والاستغفار عند مواقعة الذّنب من غير تأخير أو تأجيل، إلا أنّ هذا المعنى لم يأت من فراغ، فالاستعارة وكثرة استعمال اللفظة وصلا بها إلى هذا المعنى في الحديث النّبويّ.

وقد مرّ هذا المعنى بسلسلة من الدّلالات المتشابهة في المعنى الحِسّيّ قبل التّوقّف عند الدّلالة المجرّدة، الدّابة، ثمّ بيع الحافر في أوّل وَهْلَة العقد من غير تأخير، ثمّ ذوات الخُفّ والحافر، ثمّ حافرة من الحفر (كحفرة القبر). وبعد كثرة الاستعمال تَنْجيز وتسريع النَّدامة والاستغفار عند مواقعة الذّنب من غير تأخير.

كان للاستعارة دور فعّال في تداول المعاني والتّنقّل بين العناصر الدّلاليّة لهذه اللفظة، الّتي جعلت اللفظة تمرّ بثلاث مراحل دلاليّة، الدّابّة؛ لأنّها تحفر الأرضَ بشدّة. وتَنْجيز النَّدامة والاستغفار بعد الإصرار على وقوع الذّنب، حتّى صارت الحافرةُ أوّلَ كلّ شيءٍ.

الضَّالَّة:

قال النبيُّ – صلّى اللهُ عليه وسلّم –: "لا يأْوي الضّالَّة إلا ضالٌّ"[٣].

الضّالَّة: صفةٌ في الأصل للبهيمة فغلبت. والمعنى: مَنْ يضمُّها إلى نفسه مُتَمَلِّكًا لها ولا ينشدُها فهو ضالٌّ[٤].

يشيرُ الزّمخشريُّ من خلال قوله: فغلبت، إلى التّغيّر الدّلاليّ لكلمة: الضَّالَّة، وكانَتْ في الأصل صفةً، ثمّ اتّسعت هذه الدّلالةُ من صفةٍ للبهيمةِ إلى الإنسانِ الذي ضاعتْ بهيمته. ضلّ الشّيء يَضِلّ ضلالاً، أي: ضاع وهلك. والاسم الضُلُّ بالضّمِّ. ومنه قولهم: هو ضُلُّ بنُ ضُلٍّ، إذا كان لا يُعرَفُ ولا يُعرَفُ أبوه. وكذلك هو

(١) سورة النّازعات، 10.
(٢) أبو منصور، محمّد بن أحمد، تهذيب اللّغة، 5/14.
(٣) سنن أبي داود، 3/142، رقم الحديث: (1720).
(٤) الفائق، 65.

الضّلالُ بن التّلال والضّالّة: ما ضَلّ من البهيمة للذّكَر والأنثى. ورجلٌ ضِلّيلٌ ومُضَلّلٌ، أي ضالٌ جدًّا، وكان يُقال لامرئ القيس: الملك الضّلّيل.

حيث تعود دلالة لفظة الضّالة إلى أصل استعمالها الحقيقيّ في اللغة، وهو الضّياع والهلاك والشّيء المجهول، والشّيء المفقود، فاللفظة تأثّرت بالبُعد الاجتماعيّ، إذ إنّها كانت صفة خاصة بالحيوان الّذي يملكه الإنسان فيضيع ولا ينشده صاحبه، ثمّ انتقلت هذه اللفظة مع صفتها إلى الإنسان.

هو انتقال من ضيّق إلى واسع في دلالة لفظة الضّالّة، عندما تكون اللفظة خاصّة في صفتها لازمة للحيوان، ثمّ تتجاوز هذه الصّفة حدود الحيوان الضّائع، إلى الإنسان الّذي ضاعت له حاجة ما، فأصبحت ضالّة ينشدها ويحثّ في السّعي إلى إيجادها والإقبال عليها. فالفقدان والضّياع هو العامل المشترك والصّفة الدّائرة حول عناصر المعاني في لفظة الضّالّة، وعليها كان التّركيز في عمليّة التّوسّع الدّلاليّ لها.

عند تحليل التغيّر الدّلاليِّ في الكلمة، نجد أنّ كلمة (الضَّالَّة): كانت صفةً للبهيمة. ثمّ توسّعت دلالة ومعاني اللّفظة، لتُطلَقَ على الإنسانِ الذي ضاعتْ بهيمته أذكرًا كان أَمْ أنثى. وعلى الرّجل غير المعروف وغير المعروف أبوه. وهنا يُفسِّرها العامل الاجتماعي في توسيع الدلالة.

ظهْرانَيْهم:

في الحديث: " . . . فأقاموا بين ظَهْرَانَي قومِهم فدعَوْهم إلى دينِ الله ودين عيسى؛ فأَخذتهم الملوك فقتلتهم وقطعتْهم بالمَناشِير... "(١).

يقول الزمخشريّ: أقام فلان بين أظهر قومه وظهْرانيهم: أي أقام بينهم. الأظْهُر: جمع ظَهْر – على معنى أنّ إقامته فيهم على الاسْتِظْهارِ بهم والاستنادِ إليهم. وأمّا ظَهْرَانيهم، فقد زِيدت فيه الألف والنّون على ظَهْرٍ عندَ النِّسبة للتأكيد، كقولهم: في الرّجل العَيُون نَفْساني وهو نسبةٌ إلى النَّفس بمعنى العَيْنْ، والصّيدلاني والصيدنَاني منسوبان إلى الصيدل والصَّيْدَن، وهما أصولُ الأشياءِ وجواهرُها. فألحقوا الألِفَ والنّونَ عند النِّسبة للمبالغة، وكأنّ معنى التّثنية أنّ ظَهْرًا منهم قدّامه وآخر وراءه، فهو مكنُوفٌ من جانبيه، هذا أصله، ثمّ كثُرَ حتى استُعْمِل في الإقامة بين القوم مطلقًا وإنْ لم يكن مكنوفًا.

(١) البيهقيّ، 12/73، رقم الحديث: (9065).

والظهرُ: خلافُ البطن. وقولهم: لا تجعل حاجتي بِظهرٍ، أيْ: لا تَنْسها. ويُقال: هو نازلٌ بين ظهريهم وظهرانَيهم، بفتح النّون، ولا تقل: ظهرانِيهم بكسر النّون. قال خلف الأحمر: قولهم لقيته بين الظهرانَيْنْ، معناه في اليومين أو في الأيّام، قال: وبين الظهريْن مثله حكاه القاسم بن سلام أبو عبيد في ذلك(١).

إذًا، فلفظة ظهرانيهم كما يجدها الزّمخشريّ في فائقه لفظة أصابها تغيّر دلاليّ، وبعد إسهابه عن إلحاق الألف والنّون باللفظة وما طرأ على زيادة المعنى نتيجة زيادة المبنى فيها، يذكر لنا أصل اللفظة في الاستعمال، أنّه كان مقتصراً على الإحاطة من الأمام ومن الخلف، ذلك أنّ الألف والنّون عند الزّمخشريّ للتّثنية، فكان المعنى محدّدًا بالإحاطة أو الصّون باتجّاهين، ثمّ استطرد في استعمال هذه اللفظة حتّى باتت تطلق للدّلالة على المكوث في القوم أو النّاس.

لا أظنّ الألف والنّون من الزّوائد أو اللواحق الّتي تطرأ على اللفظة من باب النّسبة للمبالغة كما طرأ ذلك في نفسانيّ، وصيدنانيّ، إنّما الألف والنّون للتّثنية، وقد نوّه خلف الأحمر إلى ذلك بقوله: الظّهرانَيْنْ، بفتح النّون لا بكسرها، ربّما هي من الملحقات بالمثنّى كالزّهراوين والعمرين وغيرهما، فالظّهران بهذا التّحليل تعني: البطن والظّهر، أي بطن القوم وظهره، والماكث سيكون محاطًا بالقوم من الأمام ومن الخلف. ثمّ زيد الضّمير الهاء ليعود على الغائب، وزيدت الميم للدّلالة على الجماعة، فاللفظة مع الياء والنّون للتّثنية.

عند تحليل التّغيّر الدّلاليّ، نجد أنّ كلمة (ظهْرانَيْهم): كانت تعني في أصل استعمالها اللغويّ: ظَهْرٌ منهم قدّامه وآخرُ وراءه، فهو مكنُوفٌ من جانبيه، ثمّ بعد كثرة استعمال هذه اللفظة، أصبحت تعني الإقامة بين القوم مطلقًا وإنْ لم يكن مكنوفًا أي محاطًا. فصارَ كلُّ مَنْ يقطُنُ بين قومه يُقالُ عنه: هو مُقيمٌ في ظهرانَيْهم، سواءٌ أكانَ مكنوفًا أمْ غيرَ مكنُوفٍ.

فاتّسعت دلالة اللفظة من معنى المحوط والمصون من الأمام والوراء، لتشير بما في شبكات معانيها المستوحاة من البيئة اللغويّة في سياقاتها المتعدّدة إلى معنى الإقامة على الإطلاق، وفي الوقت الحاضر، هذه اللفظة مقتصرة بدلالة الإقامة المطلقة في سياقات معيّنة، محافظة على هذه الدّلالة دون أدنى تغيّر، فلم تتعرّض لأيّ تغيّر إذن غير أنّها ترد دون اللاحقة الألف والنّون أو الياء والنّون، فنسمع قولهم: فلان بظهر العشيرة الفلانيّة، فلم تزل اللفظة محتفظة بالدّلالة نفسها، وهي الإقامة فيهم أو الحماية دونهم. حتّى وإن كان اللفظ مجموعًا، فلن تؤثّر في عناصر المعنى المنشود للفظة، فأظهر لا تختلف في دلالتها عن دلالة المثنّى ظهرانَيْهم أو دلالة المفرد ظهرهم.

---

(١) الصّحاح، مادة ظهر.

ولم أجد فرقًا دلاليًّا في الحقيقة بين لفظتي ظهريَهم وظهرانَيْهم، إذ إنّ اللفظتين تطلقان على الإقامة بين القوم في أيّ سياقٍ كان، ولعلّي أُصيب لو قلت أنّ اللاحقة الألف والنّون، لم يكن لها تأثير في تغيّر الدّلالة للمبالغة في النّسبة، إذ إنّها ليست في النّسبة من شيء، إنّما هي كلمة أُلحقت بها الألف والنّون أو الياء والنّون؛ ابتغاء إلحاقها بالتّثنية، للدّلالة على الظّهر والبطن فقط. وربّما ظهرانَيْهم أُخذت على سبيل الحكاية، فظلّت الألف والنّون ثمّ الياء تتوالى في الاستعمال لهذه اللفظة على مرّ العصور حكايةً لا إعرابًا.

بذلك فإنّ التّثنية لن يكون لها ذلك التّأثير الدّلاليّ المرجوّ في تغيّر معنى اللفظة، إذا ما قورنت بالمفرد في السّياق ذاته، فلو قلنا: يقطن الرّجل في ظهرهم، لكان المعنى الّذي يصبّ في دلالة اللفظة الجديدة، هي ذاتها، أعني الإقامة والحماية، أي يقطن الرّجل بينهم وفي حمايتهم.

وفي ختام هذه المسألة، فإنّ العامل الّذي أسهم في تغيّر اللفظة دلاليًّا، هو التّوسّع والانتقال من خصوص استعمال المعنى إلى عموم استعماله، فبعد أنْ كانت الدّلالة خاصّة بالإحاطة، أصبحت عامّة تطلق على الإقامة بين القوم.

العَشْوة:

في حديث سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – لرسول صلّى الله عليه وسلّم: فقلت: خَلِّني، فَأَنْتَخِبَ مِنْ أَصْحابِكَ مائةَ رَجُلٍ، فَآخُذَ عَلى الكُفّارِ بِالعَشْوَةِ فَلا يَبْقى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إلا قَتَلْتُهُ[1].

العُشْوَة – بالحركات الثّلاث: ظُلْمة اللّيل، وقالوا في المثل: أوْطأتَه العَشْوة؛ إذا سامه أمرٌ ملتبسٌ يَغْترُّه به، لأنَّ مَنْ وَطِئَ الظّلمة يَطَأُ مالا يُبْصره فربّما تردّى في هُوَّةٍ أو وَضَعَ قدمَهُ على هامَّة، ثمّ كثُرَ ذلك حتى استُعْمِلت العشوة في معنى الغِرّة، فقيل: أخذتُ فلانًا على عَشْوَةٍ، وسمتُه عشوة. والمقصود بـ: أوْطأتَه العَشْوة، أن يطأ الإنسان مالا يبصره فربّما وقع في بئر أو وطئ هامة، ومن أمثالهم هو يخبط خبط عشواء، يضرب مثلا للسّائر الذي يركب رأسه، ولا ينظر في العاقبة، كالبعير العشوان، وهو الّذي لا يبصر بالّليل فهو يخبط بيديه كلّما مرّ به، وفي الحديث: (فأخذ عليهم بالعشوة) أي السّواد من اللّيل[2].

الظّاهر من خلال كلام الزّمخشريّ أنّ لفظة العشوة تعني في الحديث النّبويّ، استغلال العدوّ على حين غرّة في الليل، لما عهد عن الليل من سواد وظلمة شديدة، فلا يدري العدوّ مَن أراد به شرًّا. أمّا أصل الاستعمال للفظة العشوة، فهو الالتباس لعدم التّمكّن من معرفة ما يحيط بالإنسان ليلاً، فعندما يسير الإنسان ليلاً، فإنّه لا يعي ما

(١) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حِبّان، 16/137.
(٢) الهرويّ، أبو عبيد أحمد بن محمّد، الغريبين في القرآن والحديث، 4/1281.

أمامه لشدّة ظلمة الليل. ثمّ يذكر الزّمخشريّ أنّ هذه اللفظة قد تداولها العامّة بكثرة حتّى اكتسبت اللفظ دلالة جديدة بعد كثرة استعمالها، وهذه الدّلالة هي الغِرّة كما يرى الزّمخشريّ.

ولو أخذنا الزّيادة في مبنى العشوة بعين الاعتبار، لأصبح عامل التّغيّر الدّلاليّ هنا عاملاً داخليًّا في عمق اللغة ذاتها، فالعشواء كما في المثل: هو يخبط خبط عشواء، تعرّضت إلى تغيّر اشتقاقيٍّ، وهذا التّغيّر في الاشتقاق للفظة، إنّما أدّى إلى تغيّر دلالتها واختلاف في عناصر معانيها عبر سياقات جديدة في الخطاب اللغويّ المستعمل من جيل إلى جيل.

وعند تحليل ما طرأ من تغيّر دلاليّ على لفظة العُشْوَة، فإنّها في أصل استعمالها اللغويّ كانت تعني ظُلْمة الليل. ثمّ عمّمتْ دلالتها فأصبحت تدلّ على الغِرّة مُطلقًا. وهي التّحيّر والحيرة عند السّير ليلاً، لعدم معرفة المظانّ عند السّائر، وربّما هي الغفلة الّتي يعيشها كلّ سائر ليلٍ، إذ إنّه يسير على غير هدًى، وركوب الأمر على غير بيان، من هنا كانت الدّلالة الجديدة لهذه اللفظة، وهي أخذ الكافر على غفلة من أمره وعدم إدراك لما يحدث حوله، فهو أشبه بالأعمى غير المدرك لما يحيط به.

نتائج البحث:

- ألفاظ اللغة كالكائن الحيّ، تتغيّر بفعل الزّمن، مثلما يتغيّر الكائن الحيّ، وهذه الألفاظ تخضع لما يخضع له الكائن الحيّ في نشأته ونموّه وتغيّره.
- كون اللغة ظاهرةً اجتماعيّةً، وتستمد كيانها من المجتمع الّذي نمتْ فيه، فهي ترقى برقيّه، وتنحطّ بانحطاطه.
- إنّ سرعة التّغيّر ونتائجه تختلف من زمنٍ إلى آخرَ ومن جانبٍ إلى آخرَ من جوانب الّلغة.
- يُعدّ التّغيّر الدّلالي أحد جوانب التّغيّر الّلغويّ، إذ إنّ معاني الكلمات لا تبقى على حالها، إنّما هي في تغيّر دائمٍ، والمعاجم العربيّة خير دليلٍ على هذا التّغيّر وأنّ معاني الكلمات تتغيّر من زمنٍ إلى آخر.
- من العوامل التي أدّتْ إلى هذا التّغيّر في كتاب الفائق في غريب الحديث كثرة استعمال اللفظة وشيوعها في مواضع اقتضت الحاجة إلى وجودها بهذه المنزلة، ممّا كان حريًّا بالباحث أنْ أدرس مدى ما وصل إلى التّغيّر الدّلاليّ في ألفاظ حديث الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – من خلال استقراء غريب الحديث في كتاب الفائق.
- وجدتُ من خلال البحث أنّ بعض هذه العوامل الّتي حدّدها علماء الّلغة المحدثون، تنبّه لها الزّمخشريّ في فائقه، وأشار إليها في أثناء حديثه بألفاظٍ معيّنةٍ من مثل: "ثمّ كَثُرت حتى استُعْمِلت في. . . " وقوله: "

ثمّ كثُرَ ذلك حتى استُعْمِلت . . . "، وبعض الألفاظ لم يصرّح بتغيّرها قمت باستنباط ما طرأ من تغيّرٍ دلاليٍّ فيها.

- معظم ألفاظ كتاب الفائق قد تغيّرت دلالاتها من خلال المجاز بأنواعه: الاستعارة المشابهة والسّببيّة، حيث تفاوتت نسبة التغيّر الدّلاليّ لهذه الألفاظ من التّخصيص إلى التّعميم، ومن الحسّيّ إلى المجرّد، وكان حظّ الألفاظ الأعجميّة قليلاً، كلفظة بريد الفارسيّة، إذ إنّها تغيّرت في دلالتها بعد ورودها في الحديث النّبويّ كما تغيّرت صرفيًّا.
- إن الحاجة إلى كلماتٍ جديدة تعبّر عن معانٍ جديد، أمرٌ غير معروفٍ من قبلُ، لكنّ المخزونَ اللّفظيّ عندَ أبناء اللّغة الواحدة، أسهم في إحداث تغيير لهذا اللّفظ أو ذاك.
- لعب الاشتقاق دوراً مؤثّرًا في تغيّر دلالات بعض الألفاظ، كما في حديث الرّسول الّذي أورده الزّمخشريّ في فائقه: "فَآخُذَ عَلى الكُفّارِ بِالعَشْوَةِ"، ليكتمل عقد تلك العوامل الّتي أدّت إلى التّغيّر الدّلاليّ في كتاب الفائق.

المصادر والمراجع:

١. الأُشْمُوني، عليّ بن محمّد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدّين الشّافعيّ ٩٠٠ ه/ شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك/ ط: ١/ دار الكتب العلميّة/ بيروت/ لبنان/ ١٩٩٨.

٢. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ/ ط: ١/ مكتبة الأنجلو المصريّة/ ١٩٧٢.

٣. ابن بطال، بطال بن أحمد بن سليمان، النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، تحقيق: مصطفى سالم، ١٩٨٨.

٤. البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر ٤٥٨ ه.

٥. السّنن الكبرى/ تحقيق: محمّد عبد القادر عطا/ ط: ١/ دار الكتب العلميّة/ بيروت/ لبنان/ ٢٠٠٣.

٦. شُعَب الإيمان/ تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد/ ط: ١/ مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع/ الرّياض/ ٢٠٠٣.

٧. ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو ٦٤٦ ه/ أمالي ابن الحاجب/ تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة/ دار عمّار/ الأردنّ/ دار الجيل/ بيروت/ ١٩٨٩.

٨. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي ٣٥٤ ه/ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط/ ط: ١/ مؤسسة الرسالة، بيروت/ ١٩٨٨.

٩. حسن، عزة/ ديوان تميم بن أُبَيّ بن مقبل/ عني بتحقيقه/ ط: ٢/ دار الشّرق العربيّ/ بيروت – لبنان/ ١٩٩٥.

١٠. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني ٢٤١ ه/ مسند الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون/ ط: ١/ مؤسسة الرسالة/ ٢٠٠١.

١١. أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ٢٧٥ ه/ سنن أبي داود/ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت.

١٢ . ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، ط: ١، ١٩٨٧ .

١٣ . الزّركليّ، خير الدّين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس/ الأعلام/ ط: ١٥/ دار العلم للملايين/ ٢٠٠٢ .

١٤ . الزّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ٥٣٨ ه .

١٥ . أساس البلاغة/ تحقيق: محمّد باسل عيون السّود/ ط: 1/ دار الكتب العلميّة/ بيروت/ لبنان/ ١٩٩٨ .

١٦ . الفائق في غريب الحديث والأثر/ تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط: ٢/ دار المعرفة/ لبنان .

١٧ . عبد الجليل، منقور/ علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربيّ/ اتّحاد الكتّاب العرب/ دمشق/ ٢٠٠١ .

١٨ . عمر، أحمد مختار/ علم الدّلالة/ ط: ٢/ عالم الكتب/ بيروت/ ١٩٨٨ .

١٩ . العينيّ، بدر الدّين محمود بن أحمد بن موسى ٨٥٥ هـ/ المقاصد النّحويّة في شرح شواهد شروح الألفيّة المشهور بـ"شرح الشّواهد الكبرى"/ تحقيق: علي محمّد فاخر، أحمد محمّد توفيق السّوداني، عبد العزيز محمّد فاخر/ ط: ١/ دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة/ القاهرة/ مصر/ ٢٠١٠ .

٢٠ . الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ/ الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة/ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار/ دار العلم للملايين/ بيروت .

٢١ . القيس، امرؤ، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد إبراهيم .

٢٢ . المبرّد، محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الثّمالى الأزديّ ٢٨٥ ه/ المقتضب/ تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة/ عالم الكتب/ بيروت .

٢٣ . مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض/ تاج العروس من جواهر القاموس/ ط: ١/ دار الفكر/ بيروت/ ١٤١٤ ه.

٢٤ . ابن مسعود، غيلان بن عقبة، ديوان ذي الرمة، تحقيق: أحمد بسج، ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ .

٢٥ . أبو منصور، محمّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ ٣٧٠ ه/ تهذيب اللّغة/ تحقيق: محمّد عوض مرعب/ ط: ١/ دار إحياء التّراث العربيّ/ بيروت/ ٢٠٠١ .

٢٦ . ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدّين الأنصاريّ الرّويفعيّ الإفريقيّ ٧١١ ه/ لسان العرب/ دار صادر/ بيروت/ ط: ٣/ ١٤١٤ ه.

٢٧ . الهرويّ، أبو عبيد أحمد بن محمّد ٤٠١ ه/ الغريبين في القرآن والحديث/ تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي/ ط: ١/ مكتبة نزار مصطفى الباز/ السّعوديّة/ ١٩٩٩ .

٢٨ . نصّار، حسين/ المعجم العربي نشأته وتغيّره/ ط ٤/ دار مصر للطباعة/ مصر/ ١٩٨٨ .

٢٩ . وافي، علي عبد الواحد/ علم اللّغة/ ط: ٩/ دار نهضة مصر للطبّاعة/ القاهرة/ ٢٠٠٤ .